المبحث الرابع

دراسة أثرية لشاهدي قبرين

من دهلك(*)

محفوظين بالمتحف البريطاني في لندن

* نشر هذا المبحث في مجلة الدراسات الشرقية (دورية نصف سنوية محكمة تعني بالدراسات الشرقية في مجالات الحضارات والتراث والأدب) ، عدد ٣٠ يناير ٢٠٠٣م

مقدمة المبحث الرابع

دَهْلك بفتح الدال وسكون الهاء ولام مفتوحة وآخره كاف اسم أعجمى معرب يقال "دهيك" أيضاً [١]

وهى مجموعة من الجزر (أرخبيل) تواجه ميناء مصوع الأريترى بين دائرتى عرض ١٥° ، ١٦° [٢] بحوض البحر الأحمر على مسافة مائتى ميل من هذا الميناء ، وتعد "دهلك كبير" الجزيرة الرئيسية بهذا الأرخبيل حيث تبلغ مساحتها ١٣٥٠٠كم٢ [٣]

وقد حدد بعض الجغرافيين العرب القدماء - كصاحب تقويم البلدان - جزر دهلك بأنها "على طريق المسافرين فى بحر عيذاب إلى اليمن" ، كما يذكر ابن سعيد أنها "غربى بلاد اليمن وطولها نحو مائتى ميل وبينها وبين برّ اليمن نحو ثلاثين ميلاً" وملك دهلك من الحبش المسلمين. [٤]

ولعل عدم استرسال المؤلفين العرب فى حديثهم عن جزر دهلك يرجع إلى قربها للشاطئ الأثيوبى (الأريترى) وبعدها عن شواطئ شبه الجزيرة العربية ولذا

---

١ . ياقوت الحموى (بن عبد الله) : ت ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص ٤٩٢ ، دار صادر ، بيروت .

٢ . قاسم عبده قاسم : علاقة مصر بالحبشة فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٦٥ ، مستخرج من كتاب العرب فى افريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، اشراف د. رؤوف عباس ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
محمود عصام الميدانى : الأطلس الجغرافى الحديث للوطن العربى والعالم ، ص٩٨ ، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٩٩٧م .

3. Gchneider (Madeleine), Steles Funeraires Musulmans Des Iles Dahlak (Mer Rouge), Part 1, pp. 2,13, Institut Francais D'Archeolgie Orientale du Caire, 1983.

٤ . القلقشندى (الشيخ أبى العباس أحمد): ت ٨٢١هـ (١٤١٨م) ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٥ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

نجدهم يذكرونها فى وصفهم لبلاد العرب خاصة اليمن أو حينما يقومون بوصف "بلاد الحبشة" . [٥]

وبعد خلافة عمر بن الخطاب ازداد وجود العرب المسلمين فى دهلك ، وكان من نتيجة التبادل التجارى بين اليمن والحجاز من ناحية ، والحبشة وشرق أفريقيا من ناحية ثانية أن رحلت مجموعة من التجار العرب المسلمين إلى هذه الأنحاء واستقروا فيها .[٦]

وفتح المسلمون دهلك عام ٨٣هـ (٧٠٢م) فى خلافة عبد الملك بن مروان ودفعهم لذلك حماية التجارة الإسلامية بالبحر الأحمر وتأمين سواحل الجزيرة العربية بعد هجوم الأحباش على ميناء جدة .[٧]

وكانت دهلك على علاقة وثيقة بالدول الإسلامية المستقلة فى اليمن وخاصة الدولتين الزيادية والنجاحية ، وفى بداية القرن الرابع الهجرى (ق١٠م) قامت فى جزر دهلك دولة إسلامية مستقلة اضطلعت بدور بالغ الأهمية فى نشر الإسلام فى تلك المنطقة عامة وفى الحركة التجارية خاصة .[٨]

وأجريت على شواهد القبور بجبانة دهلك عدة دراسات منها (بالإيطالية) : كتاب أصدره المعهد الجامعى الشرقى "مدرسة الدراسات الإسلامية" عن الجبانة الإسلامية فى دهلك كبير بالبحر الأحمر اشترك فيه مجموعة من الباحثين فى

5 . Schneider (M.), op. Cit., p. 10 .

٦ . قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ، ص٦٥ .

7 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 21.

٨. محمد حمزة الحداد : النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مج ١ ، ص. ١٤ ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

ذكرى العالم الأثرى جيوفانى أومان وشملت الدراسة جزئين ، الأول من شواهد دهلك المحفوظة بالمتحف البريطانى فى مودان بإيطاليا والثانى شواهد دهلك المحفوظة فى متحف فرديناندو مارتينى بأسمرة ، وطبع الكتاب فى نابولى عام ١٩٧٦م .

كما صدر (باللغة الفرنسية) كتاب عن المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، للعالمة مادلين شنايدر فى جزئين بعنوان "شواهد القبور الإسلامية فى دهلك" الجزء الأول يشمل المقدمة والنقوش والفهارس ، والجزء الثانى اللوحات والأشكال وطبع عام ١٩٨٣م .

كما صدرت عدة دراسات عامة تحتوى جزئياً على جوانب من الموضوع مثل كتاب "خلاصة أبحاث ودراسات عن حفائر أثيوبيا" بعنوان "خمس سنوات من البحث الأثرى فى أثيوبيا" للأستاذين ر.أزايزود . شامبرد طبع بباريس ١٩٣١م . وكذلك للأستاذ س.هـ . جريفز بحث بعنوان "شاهد قبر قديم وجد فى دهلك كبير بالقرب من مصوع بالحبشة" نشر فى حوليات المجتمع الأسيوى ١٨٣٠م وأيضاً بحث للأستاذة ر.باست بعنوان "كتابات من جزيرة دهلك" فى المجلة الآسيوية باريس ١٨٩٣م .

كما جاءت إشارات لنشر بعض شواهد قبور عن دهلك للباحثين العرب مثل كتاب بعنوان "النقوش الاثارية مصدراً للتاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية" للدكتور/ محمد حمزة الحداد طبع مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٢م .

وفى كل الدراسات والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع لم أعثر على دراسة وافية أو نشر للشاهدين – محل البحث – المحفوظين بالمتحف البريطانى فى لندن ولعل فى هذا إضافة لما قام به الباحثون من قبل .

الشاهد الأول[٩] (شكل ١ ، ٢ لوحة ١ ، ٢) :

وهو شاهد قبر من الحجر البازالت الأسود على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع طوله ٠,٧٥م وعرضه ٠,٣٢م وسمكه ٠,٢٠م باسم "الأديب عيسى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن يحيى بن حامد العكى" وهو مؤرخ ٢٩ صفر سنة ٥٨٤هـ (٢٩ ابريل ١١٨٨م) وعليه بالخط الثلث البارز سبعة عشر سطراً من الكتابة العربية ، منها ١٥ سطراً أفقياً ، وسطران رأسيان ونصه :

- ✓ بسم الله الرحمن الرحيم
- ✓ وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله
- ✓ إن المتقين فى جناتٍ وعُيونٍ آخذين ما آتاهم ربهُم
- ✓ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلاً من الليل
- ✓ ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم
- ✓ حق للسائل والمحروم .[١٠]
- ✓ هذا قبر الأديب الفاضل

٩ . رقم السجل بالمتحف البريطانى (٥١ – ٣) وورد للمتحف بتاريخ ١٩٢٨م .
١٠ . سورة الذاريات (آيات ١٥ : ١٩) .

- ✓ الفقير إلى ربه المحب معاً للقايه وقربه

- ✓ عيسى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن يحيى بن حامد العكى .
- ✓ رحمه الله توفى بدهلك . توفى ليلة الجمعة تاسع وعشرين صفر سنة أربع وثمانين وخمسمائة .
- ✓ ادَرحَى تنصتى واسمعى ثم عى وعى .
- ✓ أنا رهنُ بمضجعى فاحذرى مثل مصرعى .
- ✓ ليس زاد سوى التقى فخذى منه أو دعى .
- ✓ عشت تسعين حجة ثم وافيت مضجعى
- ✓ رحمه الله ورحم من ترحم عليه وجميع المسلمين آمين .[11]

صنعة عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى العدرى رحمه الله

الشاهد الثانى[12] (شكل ٣ ، ٤ لوحة ٣ ، ٤) :

وهو شاهد قبر من الحجر البازلت الأسود على شكل مستطيل غير منتظم طوله ٠,٦٣م وعرضه ٠,٣٠م وسمكه ٠,٢٠م باسم الشيخ "مكى بن جامع بن سالم السواكنى" .

١١ . ينشر الشاهد والنص لأول مرة بتصريح من إدارة النشر بالمتحف .
١٢ . رقم السجل بالمتحف البريطانى فى لندن هو (٥٢ – ٣) .

مؤرخ الإثنين الأول من رجب سنة ٦٠٧هـ (١٩ ديسمبر ١٢١٠م) عليه كتابة عربية بالخط الثلث البارز فى ثلاثة عشر سطراً أفقياً نصها :

- ✓ بسم الله الرحمن الرحيم
- ✓ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
- ✓ وجنات لهم فيها نعيم مقيم
- ✓ خالدين فيها أبداً إن الله عنده
- ✓ أجر عظيم[١٣]
- ✓ هذا قبر الشيخ مكى
- ✓ ابن جامع بن سالم السواكنى
- ✓ توفى يوم الاثنين أول يوم من
- ✓ شهر رجب سنة سبع و
- ✓ سبعماية سنة للهجرة النبوية
- ✓ يدهلك رحمه الله رحمة واسعة
- ✓ وجميع المسلمين آمين اللهم آمين
- ✓ وصلى الله على سيدنا محمد وآله
- ✓ عمل عبد الرحمن بن أبى حرمى عفى الله عنه[١٤]

١٣ . سورة التوبة (آيات ٢١ ، ٢٢) .
١٤ . ينشر الشاهد والنص لأول مرة بتصريح من إدارة النشر بالمتحف .

أولاً : دراسة الشاهدين من حيث الشكل :

رغم إجماع فقهاء المسلمين على كراهية العناية بتشييد القبور وتجميلها والكتابة عليها وتمييزها عما يحيط بها [١٥]

وذلك لمخالفة السنة النبوية المطهرة فى هذا الأمر ومنها ما روى عن جابر رضى ﷺ قال "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه،[١٦]

إلا أن الفقهاء قد ترخصوا فقط فى وضع ما يدل على القبر إذا خيف ذهاب معالمه ، فأغلب الظن أن ما أثر من أحاديث نبوية فى هذه المسألة إنما كان الهدف منه عدم الإسراف فى تعظيم القبور وساكنيها ، ولكن المسلمين لم يلتزموا بما رسم الفقهاء لهم بل عنوا بالقبور عناية واضحة فوضعوا عليها الألواح المتخذة من الحجر والرخام .[١٧]

وتتضح أهمية دراسة شواهد القبور من حيث طراز الخط المكتوبة به وفيما قد يوجد عليها من زخارف وتكشف دراسة النصوص المدونة عليها عن الكثير من الحقائق فهى فى الحقيقة وثائق لها قيمتها فى تاريخ الفن [١٨]

١٥ . محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية قبل عصر الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
١٦ . صحيح الإمام مسلم (بشرح الإمام النووى) مج٣ ، جـ٣ ، ص٣٧ ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت .
١٧ . محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص٤٠ .
١٨ . محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص١٤٧ ، ١٤٨ ، دار الثقافة، بيروت .

وقد عرف شاهد القبر فى شرق العالم الإسلامى بتسميات عدة منها الشاهدة، البلاطة ، اللوح ، النقشية ، القبرية ، المسن ، الرجم ، العلاقة ، النقش [١٩]

وكانت شواهد القبور تصنع فى القرن الخامس الهجرى (ق ١١م) من مواد مختلفة كالحجر الجيرى والحجر الرملى [٢٠]

وكان للطبيعة الصخرية والأحجار البركانية الصلبة أثر فى منشآت جزر دهلك ومن ثم اتخذت أكثر شواهد قبورها من البازلت والحجر الرملى مع قلة من الحجر الجيرى [٢١]

وهى تشبه فى مادتها وأسلوب صناعتها بعض الشواهد الحجازية حيث الأحجار البازلتية البركانية [٢٢]

وجميع نقوش جبانة دهلك – عدا نقش واحد – مدونة على أحجار البازلت القاتمة الخشنة حيث يكثر البازلت على الجانب الغربي من الجزر أكثر منه على الجانب الشرقى . [٢٣]

ومادة الشاهدين – محل البحث – من هذا الحجر البازلت الصلب ، فكل منهما عبارة عن كتلة ذات أربعة أوجه لم يصقل منها إلا الوجه الذى عليه الكتابات وبالشاهد الأول كسر فى أسفله ، فى حين يتميز الشاهد الثانى بأنه مكعب أقرب

١٩ . علاء الدين أحمد العانى : المشاهد ذات القباب المخروطة فى العراق ، ص١٠٨ ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٣م .

٢٠ . هناك أمثلة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة متخذة من هذه المواد مثل أرقام سجل (٤٨ ، ٤٩) .

21 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 13.

٢٢ . موضى بنت محمد بن على البقمى ، نقوش إسلامية شاهدية بمكتبة الملك فهد الوطنية ، دراسة فى خصائصها الفنية وتحليل مضامينها ، ص٣١ ، ٣٩ ، الرياض ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

23 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 48.

للشكل الأسطوانى من أعلى ، وبرغم تسوية جزء من جانب واحد منه إلا أنه أثر سلباً على المساحة المتاحة للكتابة عليه .

وقد أخذت الشواهد الأسطوانية الشكل تحل محل الشواهد المسطحة منذ عصر صلاح الدين[٢٤]

١ . أسلوب تنفيذ الكتابات على الشاهدين :

اتبع الصانع فى تنفيذ كتاباته الخط البارز على أرضية غائرة ، وهى طريقة يتم فيها تحديد الشكل الخارجى للعنصر المراد حفره ثم يقوم الخطاط بحفر الأرضية حوله بحيث يصبح العنصر نفسه أعلى من مستوى الأرضية . [٢٥]

وبرغم اتباع هذا الأسلوب فى أكثر شواهد دهلك إلا أن بروز الكتابة عليها لم يكن بالصورة الواضحة التى نراها على الشواهد المصرية المملوكية[٢٦]

ومما يجدر ذكره أنه برغم صناعة هذين الشاهدين فى جزر دهلك لكنهما يدلان على مهارة الصانع ، خاصة أنه يستلزم للحفار أو النقاش المشتغل بحفر أو نقش الكتابات أن يكون ملماً بقواعد اللغة العربية والتمكن من الكتابة [٢٧]

---

٢٤ . إبراهيم جمعة : دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الأحجار فى القرون الخمسة الأولى للهجرة ، ص٨٥ ، ٨٦ ، دار الفكر العربى ١٩٦٩م .

25 . El Hawary , (H.) Et Rashad, (h). Steles Funeraires (Cat. Gen. Du Musee Arabe Du Caire). T. 1, p.1, 11. 1932.

26. Schneider (M.), op. Cit, Part 1, p.50.

٢٧ . حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ١ ، ص٤١٧ ، ج٣١ ، ص ١٢٧٤ ، ١٢٧٥، دار النهضة العربية .

كما تبين مدى الحرص على التوافق بين النص والمساحة والشكل وبين ما أحاطه به من زخارف .[٢٨]

وقد وفق الكاتب فى توزيع الأسطر والكلمات والحروف فى النصين فى طريقة الأسطر الأفقية المنتظمة كما ربط الشكل بالمضمون فى أسلوب إبراز السطر الكتابى الخاص بصاحب الشاهد فى كلمات "هذا قبر....." حيث كبر حجم الحروف ومن ثم الكلمات عن غيرها فى النص . واستغل الكاتب فى الشاهد الأول كل المساحة المتاحة على وجه الشاهد المصقول فلم يبق منه فراغاً إلا ملأه بالكتابة ولذا بدت كلمات الشاهد الأول أكثر دقة وصغراً من الثانى . وبرغم عدم خطأ الكاتب فى رسم الكلمات إلا أنه كرر كلمة "توفى" فى السطر العاشر للشاهد الأول كما كرر كلمة "سنة" فى السطرين الثامن والتاسع للشاهد الثانى . كما برزت مهارة الصانع فى طريقة كتابة بحور الشعر فى أربعة أسطر بنهاية الشاهد الأول وهى أربعة أبيات من الشعر ذى الوزن والقافية الموحدة وهى من بحر مجزوء الخفيف [٢٩]

ووزنها كما يلى :

ادزحـــــى تنصّـــــتى واسمعـى ثـم عـى وعـى

فـــــاعلاتن متفـــــاعلن فـــــاعلاتن متفـــــاعلن

٢٨ . آمال العمرى : زخارف شواهد القبور الإسلامية قبل العصر الطولونى (مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)، ص٢ ، ١٩٨٦م .

٢٩ . ولمجزوء الخفيف ضربان الأول : صحيح ووزنه : فاعلاتن متفاعلن .. فاعلاتن متفاعلن
والثانى مقصور مجفون ووزنه : فاعلاتن متفاعلن .. فاعلان فعولن
والأبيات من الضرب الأول .. انظر د. عهدى السيسى (مراجعة د. محمد زكريا عنانى) ، العروض المصفى ، مطبعة الشاعر بطنطا ، ٢٠٠٢م .

٢ . نوع الخط المستخدم على الشاهدين :

إن مرونة حروف الخط العربى وسهولة حركته وقابليته للتشكيل والزخرفة أدت كلها إلى إطلاق العنان للخطاط المسلم لأن يشكل حروفه حسب المساحات المخصصة للكتابة . [٣٠]

وتجلت عبقرية الفنان المسلم فى الخط الذى اتخذ منه عنصراً زخرفياً لم يستوح فيه من فنون الأمم السابقة عليه بل ابتدع هذا العنصر فأحسن الابتداع .[٣١]

ويتضح أن للتبادل الفنى بين الشعوب الإسلامية ، حيث ينتقل الصناع من مكان لآخر ، دور فى الوحدة الإسلامية فى الفنون [٣٢]

ولا سيما فن الخط العربى الإسلامي الذى كان مضروباً مشتركاً فى جميع فنون الفن الإسلامى [٣٣]

وبدا ذلك واضحاً من أثر بلاد العرب – خاصة الجزيرة العربية واليمن – على شواهد دهلك .

٣٠ . حسن الباشا : الخط الفن العربى الأصيل ، ص٢٣ ، ص ٢٥ ، حلقة بحث الخط العربى ، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٣١ . محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى تاريخه وخصائصه ، ص١٧٢ ، بغداد ١٩٦٥م .

٣٢ . أحمد عبد الرازق أحمد : الوحدة فى الفنون الإسلامية ، ص٣٥ ، بحث مستخرج من مجلة المتحف الكويتية ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، يناير فبراير مارس ١٩٨٧م .

٣٣ . محمد عبد العزيز مرزوق : بين الآثار الإسلامية فى العالم ، ص٦٥ ، ٦٦ ، الإسكندرية ، ١٩٥٣م ، مطابع رمسيس .

وفى حين كان الخط الكوفى هو المفضل فى القرون الأولى للهجرة على شواهد القبور فى جميع أنحاء العالم الإسلامي نجد أن الخط النسخ بدأ فى الظهور منذ أواخر القرن الخامس الهجرى (ق١١م) [٣٤] .

ولم يختلف الكتاب فى تفرع الخط الثلث عن خط النسخ ولكنهم اختلفوا فى نسبة الثلث هل هو باعتبار التقوير والبسط أو باعتبار أنه ثلث مساحة الطومار [٣٥]

ويعتبر خط الثلث الأب أو الجد لكل ما جاء من أنماط الخطوط وعنه تفرعت أنواعها واستخدم فى شواهد القبور وكتابات أخرى مماثلة [٣٦]

كما أن الثلث هو أصعب الخطوط ولا يعتبر الخطاط خطاطاً إلا إذا أتقن الثلث . [٣٧]

ووضع الخطاطون أمثال الوزير ابن مقلة وابن البواب وإبراهيم الشجرى السجستانى قواعد ثابتة وأصول لنسب وهيئات الحروف وأشكالها . [٣٨]

وقد استخدم خط الثلث في كتابات الشاهدين واستطاع الصانع أن يحقق كثيراً من مميزات هذا الخط وهى :

(أ): قطة قلمه محرفة لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لا تتأتى إلا بحرف القلم [٣٩]

٣٤ . حسن الباشا : شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الإسلامى ، ص١٢٢ ، مستخرج من كتاب دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧م .
٣٥ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٥٨ .
٣٦ . أصلان آبا (أوقطاى) ترجمة أحمد عيسى ، فنون الترك وعمائرهم ، ص٣٠٨ ، استانبول ، ١٩٨٧م .
٣٧ . محمد طاهر الكردى ، تاريخ الخط العربى وآدابه ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٩م ، المطبعة التجارية بالسكاكينى .
٣٨ . انظر: ابن الصايغ (عبد الرحمن بن يوسف) تحفه أولى الألباب فى صناعة الخط والكتاب (تحقيق جلال ناجى) ص٣٧ ، ٣٨ ، تونس ١٩٦٧م .
٣٩ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٥٨ .

ولذا لزم أن تكون مائلة مشطوفة كى تساعد الخطاط على تحقيق تخانات الحروف .[٤٠]

ومن حروف النصين التى تبدأ أو تنتهى بتحريف يضفى عليها نوعاً من الجمال (شكل ١٠ ، ١١) :

الألف ، الدال وأختها ، الراء ، وأختها ، السين المنتهية ، العين المبتدئة ، الكاف، الميم المنتهية .

(ب): حروفه إلى التقوير أميل منه إلى البسط [٤١]

وهو ما جعل حروفه ذات زوايا مرنة على عكس زوايا النسخ الحادة [٤٢]

وأمثلة هذه الحروف فى الشاهدين الجيم وأختاها ، السين وأختها ، الصاد وأختها ، الطاء وأختها ، العين المنتهية والواو والياء المنتهية .

(ج): منتصبانه على مقدار خمس نقط على ما فى قلمه [٤٣]

ولذلك كان حرف الألف هو أساس الموازين التى وضعها الخطاطون له . [٤٤]

وقد تفاوتت دقة ونسب الحروف فى النقشين فهى فى الشاهد الثانى (مكى) أكثر ثخانة وبساطة منها فى الشاهد الأول (العكى) الذى أظهر الصانع فيه التزاماً بدقة النسب فى حروفه القائمة كما هو جلى فى الألف والطاء ، واللام ، والكاف .

---

٤٠ . مايسة داود : الكتابات العربية على الآثار الإسلامية عن القرن الأول الهجرى حتى القرن الثانى عشر للهجرة، ص٥٩ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩١م .

٤١ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٥٨ .

٤٢ . صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، ص٤٩ ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٤٣ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

٤٤ . حسن الباشا : تطور الخط العربى فى الإسلام ، ص ١٨٢ ، مستخرج من مجلة منبر الإسلام ، عدد ٨ شعبان ١٣٨١هـ (يناير ١٩٦٤م) .

(د): الترويس لازم فى الثلث [٤٥]

وهو أن تبدأ بعض حروفه بسنه تنثنى لأدنى وهو أمر يظهر بوضوح فى النصين فى حروف ؛ الألف ، والباء المبتدئة ، والدال المفردة ، والطاء ، والكاف المتوسطة واللام المفردة . (شكل ١٠، ١١)

(هـ): يتميز الثلث بتداخل حروفه ، وكلماته فى بعضها البعض فى تكوينات تدل نوعيتها على قدرة الخطاط [٤٦]

ومن الحروف المتداخلة فى كتابات النصين (اللام ألف) فى كلمتى (الأسحار) و "الأديب" فى الشاهد الأول وفى كلمة "الاثنين" فى الشاهد الثانى وكذلك الألف الممدوة فى كلمة "واسعة" والياء الراجعة فى كلمة "أبى" فى الشاهد الثانى أيضاً .

أما الكلمات المتداخلة فهى فى النص الأول بترتيب الأسطر "المتقين فى" آخذين ما" "وفى أموالهم" "الأديب الفاضل" "حامد العكى" "ثمانين وخمسماية" "المسلمين آمين" وعن الكلمات المتداخلة فى النص الثانى : "خالدين فيها" "أجر عظيم" "الشيخ مكى" "ابن جامع" و"صلى الله" ، "عفى الله عنه" وكثر التداخل فى الشاهد الأول لكبر النص مع ضيق المساحة المتاحة وقل فى الثانى لتناسب النص مع المساحة .

٤٥ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٥٨ .
٤٦ . صالح لمعى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(و): لا يجوز الطمس فى حروف الثلث بحال [٤٧]

وهى ميزة تظهر جلية فى حروف الشاهدين وهى الصاد ، الطاء ، العين ، الفاء، الميم ، الهاء ، الواو فكلها مفرغة من داخلها غير مطموسة . (شكل ١ ، ٣)

٣ . الزخارف على الشاهدين :

يلاحظ على زخارف شواهد القبور أنها تمثل تطوراً كبيراً عما جاءت عليه العناصر الزخرفية الاساسية سواء أكان ذلك فى شكل العنصر أم فى التكوين الذى يمثل جزءاً منه والسمات الفنية لهذه الزخارف .[٤٨]

وتنقسم الزخارف على الشاهد الأول . (الأشكال٥ ، ٦)

إلى ثلاثة أقسام أحدها هندسى واثنان نباتيان :

(أ): الشكل الهندسى قوامه عقد ثلاثى الفصوص مدبب تتدلى من أعلاه مشكاه وهو أسلوب انتشر بكثرة على شواهد دهلك فى نهايات القرن السادس الهجرى وبداية السابع [٤٩] (شكل ٨ ، ٩)

وقد ظهر هذا الأسلوب على شاهد مصرى قبل العصر الطولونى مع تدبيب رأس المثلث بين فصى العقد الثلاثى [٥٠]

كما ظهر جلياً على شواهد من القرن الثالث والرابع الهجريين بمنطقة الحجاز. [٥١]

---

٤٧ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٥٨ .

٤٨ . آمال العمرى : المرجع السابق ، ص٢ .

49 . Schneider, op. Cit., no. 228, 583H (1187 A.D).

٥٠ . آمال العمرى : المرجع السابق ، ص ٧٢ ، شكل ٢٢٦ ، رقم السجل بالمتحف الإسلامى ، ص٣٨ ، ١٠٨ .

٥١ . موضى بنت محمد على البقمى ، المرجع السابق ، ص٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، لوحات ١ ، ٩ ، ١٠ .

(ب): الزخارف النباتية وهى نوعان ، الأول فروع العنب الملتفة وأوراقه الثلاثية (شكل ٦).

وقد عرف إتقان ودقة الزخارف النباتية بخاصة الأوراق الثلاثية والوحدات البسيطة المركبة على شواهد القبور الاسلامية فى الجزيرة العربية منذ القرن الثانى الهجرى [٥٢]

وتبين أشكال الأفرع والأوراق تأثراً واضحاً من الصانع بما نقله عن موطنه من أشكال شواهد فى غرب شبه الجزيرة العربية .

وإن كانت ظاهرة خروج الأوراق النباتية من العروق الممتدة بطريقة طبيعية على هيئة تموجات موجودة من العصور الإسلامية المبكرة فى زخارف الطرازين الثانى والثالث لطرز سامرا .[٥٣]

ووجدت أمثلة لأشكال عروق وأوراق العنب على شواهد قبور مصرية قبل العصر الطولونى .[٥٤]

والنوع الثانى من الزخارف النباتية (شكل ٥) أفرع وأوراق محورة بطريقة الأرابيسك وهو نوع من الزخارف النباتية ابتدعه الفنان المسلم ووصفت "الأرابيسك" بأنها لغة الفن الإسلامى [٥٥]

٥٢ . موضى بنت محمد على البقمى : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .
٥٣ . فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، مج ١ ، ص ٢٦٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م
٥٤ . آمال العمرى : المرجع السابق ، أشكال ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ٢٠٣ .
٥٥ . محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى تاريخه وخصائصه ، ص ١٨٠ .

حيث جعل الفنان المسلم العناصر النباتية تتهادى وتثنى وتتشابك مع بعضها لتخرج فى مجموعها روائع . (٥٦)

ولاشك فى أن اختيار الصانع لهذا الأسلوب فى الزخارف النباتية على الشاهد الأول ومكان وضعها كى تعلو الأسطر الأفقية بطريقة متوازنة ومتناسقة لم تظهر على غيره من الشواهد المعاصرة له فى نفس الفترة (٥٧)

ويمكننا تفسير ذلك بأن الأمر مرده إلى ربط الصانع لشكل الزخارف بمضمون النص الكتابى على الشاهد حيث إنه لشخصية أدبية كبيرة فى المجتمع الدهلكى . وتقتصر زخارف الشاهد الثانى (الشيخ مكى) على شكل إطار ينتهى من أعلاه بشكل عقد ذى رأس ثلاثى مدبب (شكل ٧)

وقد وجد فى القرن السادس الهجرى (١٢م) بعض شواهد قبور بعقود نصف دائرية داخلها الكتابات (٥٨)

وربما قصد من ذلك شكل المحراب حيث إن صاحب الشاهد "الشيخ مكى" من علماء الدين .

وأشكال العقود التى تتخلل السطور الأولى للكتابة كان أمراً معتاداً فى الشواهد اليمنية بل إن استخدام أشكال العقود يعد من العناصر الزخرفية المتبعة فى العمائر اليمنية فى العصر الإسلامي . (٥٩)

---

٥٦. فريد شافعى : المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٤٢١ .

57 . Oman (Giovanni), La Necropdi Islamica Di Dahlak Kebir (Mar Rosso), Napoli, Schneider, (M.), op. Cit, Part II, Tableaux, etplanches.

محمد حمزة : النقوش الآثارية (المرجع السابق) .

58 . El Hawary, (H.), Et Rashad, (H.), T.b, pl.34.

٥٩. مصطفى شيحة : شواهد قبور إسلامية

ثانياً : دراسة تحليلية لمضمون الكتابات على الشاهدين :

كانت الكتابات المنقوشة على شواهد القبور منذ العصر الفاطمى تتضمن:

البسملة ، التعريف بشخص المتوفى ، الشهادتين وذكر الله ورسوله ، الإشارة لإيمان المتوفى بالله ورسله وكتبه والبعث والجنة والنار ودعوة القارئ لطلب الرحمة للمتوفى وبعض الدعوات له وأحياناً عبارات التعزية أو بعض آيات وسور قرآنية قصيرة وتختم كتابات الشاهد بذكر تاريخ الوفاة [٦٠]

وقد أضيف فى عصور تالية أن أصبح مضمون الشاهد يمدنا بمعلومات قد تضيف حقائق جديدة أو تصحح أخطاء شائعة أو تزودنا بأسماء مشاهير أو بثروة ضخمة من أسماء عامة الناس وتلقى الضوء على النواحى اللغوية وقد تكون الأسماء، مصحوبة بالوظائف والحرف .[٦١]

١ . المتفق فى مضمون الشاهدين :

يتفق مضمون الكتابات على الشاهدين فى أمور هى الابتداء بالبسملة ، والصلاة على النبى ﷺ ومكان الصناعة "دهلك" والصانع "الكاتب" والدعاء لصاحب الشاهد (مع خلاف بسيط فى الصيغة الدعائية) .

(أ): البسملة : وقد وردت كاملة على الشاهدين داخل العقد الثلاثى بين الفصين على الشاهد الأول (شكل ١) وداخل تقويس العقد على الشاهد الثانى (شكل ٣) واختلف العلماء فى البسملة هل هى آية من الفاتحة أو لا وذلك على ثلاثة أقوال :

٦٠ . إبراهيم جمعة : المرجع السابق ، ص ٨٤ .
٦١ . حسن الباشا : أهمية شواهد القبور ، ص ٨١ ، ٨٢ .

الأول : ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها وهو قول الإمام مالك .

الثانى : أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك .

الثالث : قول الشافعى هى آية من الفاتحة فقط .[٦٢]

(ب): الصلاة على النبى ﷺ :

وقد وردت فى كتابات الشاهد الأول فى بدايته بعد البسملة مباشرة بصيغة "وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله" أما فى كتابات الشاهد الثانى فقد جاءت فى نهايتها فى السطر قبل الأخير بصيغة "وصلى الله على سيدنا محمد وآله" ، وفى هذا عمل **بقول الله تعالى :**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[٦٣]

٦٢ . الإمام القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى) : ت ٦٧١هـ (١٢٧٣م) الجامع لأحكام القرآن ، مج١ ، ج١ ، ص٩٣ ، مكتبة الغزالى دمشق .

٦٣ . سورة الأحزاب: آية ٥٦ .

(ج): مكان الصناعة :

وهو "دهلك" كما جاء فى السطر العاشر فى كل من كتابات الشاهدين . ولم يحدد الصانع أى مكان فى دهلك ، أهى الجزيرة الكبرى فى جزر الأرخبيل ، أم ميناء دهلك كبير [٦٤]

ولكن المرجح أن الشاهدين قد صنعا فى مكان واحد فى الجزر حيث يتفقان فى المادة والصانع والأسلوب الصناعى .

(د): الصانع :

وجاء اسمه ونسبه كاملاً على يسار كتابات الشاهد الأول بطريقة رأسية بصيغة "صنعه عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى العبدرى رحمه الله" [٦٥]

كما جاء توقيعه فى آخر سطر من كتابات الشاهد الثانى وذلك بصيغة "عمل عبد الرحمن بن أبى حرمى عفى الله عنه" (شكل ٤) ويتضح من نسب الصانع المكانى أن موطنه الأصلى مكة . وهو ما يؤكده نسبه القبلى وهو "العبدرى" أى المنتسب إلى قبيلة بنى عبد الدار [٦٦]

فهاجر من مكة واستوطن دهلك . وذاعت شهرة هذا الصانع فى شواهد القبور بدهلك فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى والأول من القرن السابع

---

٦٤ . انظر المقدمة .

٦٥ . (شكل ٢) (لوحة ٢) .

٦٦ . ابن ماكولا (الحافظ على بن هبة الله) الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء ، والكنى والأنساب ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

(١٢ – ١٣م) ، حيث جاء توقيعه على عدة شواهد منها شاهد باسم العريف محمد بن منبه بن شبيث الدهلكى مؤرخ ٥٨٨هـ (١١٩٢م) [٦٧]

كما وقع بصيغة "عمل عبد الرحمن الحرمى عفا الله عنه" على شاهد قبر باسم الفقيه مسلم بن عيسى مؤرخ ٦٠٦هـ (١٢١٠م) [٦٨]

كما أن هذا الصانع كان صاحب مدرسة فى صناعة النقش والكتابة على الأحجار حيث ورّث هذه الحرفة لاثنين من أبنائه وهما يحيى وأحمد ولواحد من أبناء أخيه وهو محمد بن بركات ابن أبى حرمى ، وقد وقع ابنه الأول يحيى بصيغة "عمل يحيى بن عبد الرحمن الحرمى" على شاهد باسم يحيى بن أبى السداد مؤرخ ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) [٦٩]

ووقع ابنه الثانى بصيغة "كتبه أحمد بن عبد الرحمن المكى الحرمى" على شاهد باسم قمولة ابنة السلطان فاضل مؤرخ ٦٣٨هـ (١٢٤٠م) [٧٠]

كما وقع صانع الشاهدين مصحوباً باسم ابن أخيه محمد بصيغة "عمل عبد الرحمن بن أبى حرمى وابن أخيه محمد بن بركات" على شاهد باسم "السيدة ابنة السلطان أبى السداد الموفق بن يحيى" مؤرخ ٥٨٩هـ (١١٩٢م) [٧١]

67 . Oman, (G), op, cit., part 1,p. 36, pl 30 .
68 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 402.
69 . Oman, (G.) , op, cit., part 2, p. 52.
70 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, pp. 418, 419.
71 . Ibid, pp. 394, 395.

كما جاء توقيع "محمد بن بركات بن أبى حرمى" منفرداً على عدد آخر من الشواهد فى جبانة دهلك [٧٢]

وبرغم أن قلة توقيعات الصناع على أعمالهم تبدو ظاهرة عامة فى العالم الإسلامى [٧٣]

إلا أنها ليست بنفس الدرجة فى جزر دهلك حيث نجد هنا ورود اسم الصانع وأبنائه وتلاميذه على أغلب الشواهد مما لا يشك معه فى مهارته وشهرته كما أن الدعاء له "بالرحمة" لا تدل هنا على وفاته قطعاً لأنه قام بعمل الشاهد الثانى بعد الأول بنحو ثلاثة وعشرين عاماً ولعل الدعاء بصيغة "رحمه الله" قد انتقلت مع الصانع من موطنه - الحجاز - إلى مستقره فى دهلك فالشائع فى بلاد الحجاز الدعاء بالرحمة للأحياء وليس فقط للأموات .

(هـ): الدعاء للمتوفى :

وجاء الدعاء فى آخر أسطر الشاهد الأول بصيغة "رحمه الله ورحم من ترحم عليه وجميع المسلمين آمين" كما جاء بصيغة "رحمه الله رحمة واسعة" فى السطر العاشر من كتابات الشاهد الثانى .

وكان الحرص على طلب الترحم على الميت والدعاء له من الأمور المهمة فى مضامين شواهد القبور الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى . [٧٤]

---

٧٢ . أحد هذه الشواهد مؤرخ ٥٦٣ هـ (١١٦٨م) باسم أم عبد الله مولاة السلطان يحيى بن أبى السداد وآخر مؤرخ (... وستمائة) باسم فاطمة ابنة عيسى عن ..

Schneider, Op. Cit, Part 1, PP. 383,423.

٧٣ . حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية ، ص ٥٤٥ ، مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى ، مج ٣٦ ، ٥٣ ، ١٩٥٤م .

٧٤. صلاح الدين المنجد : دراسات فى الخط العربى منذ بدايته حتى نهاية العصر الأموى ، ص٤٠ ، بيروت .

٢ . المختلف فى مضمون الشاهدين :

من الأمور التى انفرد بها كل شاهد دون الآخر "الآيات القرآنية" ، "الأسماء والألقاب والوظائف" "وتاريخ الوفاه" ، و "أبيات الشعر" فى الشاهد الأول .

(أ): الآيات القرآنية :

وهى على الشاهد الأول الآيات من ١٥ : ١٩ من سورة "الذاريات" (شكل ١) كتبت فى أربعة أسطر تحفّها الزخارف النباتية من أعلاها وأدناها وقد جاء فى تفسير هذه الآيات "يقول اللّه تعالى مخبراً عن المتقين أنهم يوم معادهم يكونون فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم من الفرائض ، إنهم كانوا قبل أن تفرض عليهم محسنين يعملون . وبين تعالى إحسانهم فى العمل أنهم كانوا قليلاً من الليل ما ينامون وبالأسحار هم يستغفرون أى يصلون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم أى الذى يبتدئ بالسؤال وله حق ، وأما المحروم أى من ليس له سهم فى بيت المال ولا حرفة [٧٥] ولعل فى اختيار هذه الآيات على هذا الشاهد سببين .

أولهما : ربما يكون بوصية من صاحب الشاهد نفسه قبل وفاته .

ثانيهما : ربما يكون اجتهاداً من الصانع للشاهد حيث تفرد هذا الشاهد بهذا النص القرآنى دون شواهد دهلك المعاصرة له . [٧٦]

أما الآيات القرآنية على الشاهد الثانى فهى الآيات من ٢١ : ٢٢ من سورة التوبة (شكل ٣) وقد جاء فى تفسيرها "أن هذه الآيات تسبق

٧٥ . ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى) ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، دار إحياء الكتب العربية .

٧٦ . انظر هامش ٥٧ .

بقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٧٧).

وفى ذلك أفضلية للسابقين المؤمنين والمهاجرين المجاهدين على الذين كانوا يقومون على عمارة المسجد الحرام وسقيا الحجيج لأن ذلك كان فى الشرك والله لا يقبل ما كان فى الشرك ، فالسابقون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات ..." (٧٨)

وقد شاع مجئ هذه الآيات من سورة التوبة وهى المبشرة بالجنة على العديد من الشواهد فى دهلك (٧٩) مما يحتمل معه إعدادها سلفاً قبل إتمام الكتابات الخاصة باسم صاحب الشاهد وتاريخ وفاته .

(ب): الأسماء والألقاب والوظائف :

جاء اسم وألقاب ووظيفة ونسب صاحب الشاهد الأول فى ثلاثة أسطر من كتاباته هى السابع والثامن والتاسع (شكل ١) بصيغة "هذا قبر الأديب الفاضل الفقير إلى ربه المحب للقايه وقربه عيسى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن يحيى بن حامد العكى" (٨٠) وبيان ذلك هو :

---

٧٧ . سورة التوبة : الآية ٣٠ .

٧٨. ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٤١ .

٧٩. منها شواهد : باسم ست الناس بنت عمر ٥٥٠هـ ، آخر باسم أم عبد الله ٥٦٣ هـ ، وثالث باسم أبى السداد الموفق ٥٧٧ هـ ، ورابع باسم أحمد بن يوسف القرظى ٥٨٣ هـ ، عن ...
Schneider (M.), Op. Cit , PP 37, 318, 383, 390

٨٠ . لم أعثر على ترجمة له فى كتب التراجم والأعلام والأدباء .

- **الأديب الفاضل :** الأديب من ألقاب أهل الأدب من المدنيين وهو المشتغل بالأدب وقد يكون لقباً فخرياً أو اسم وظيفة ، وقد سبق به صاحب الترجمة من جاء بعده كالشيخ العميد سديد الدولة فى كتابة بعد كتابات هذا الشاهد بعام مؤرخة ٤٨٥هـ [٨١] أما الفاضل فهو من ألقاب أرباب الأقلام وأكثر ما يقع فى ألقاب العلماء وربما وقع فى ألقاب الكتاب وهو خلاف الناقص والمراد زائد الفضل [٨٢]

- **الفقير إلى ربه :** يدخل فى القاب التواضع والتذلل لله تعالى التى يكثر ورودها فى النصوص الجنائزية والتى أكثر نور الدين محمود بن زنكى من التلقب بها لما اشتهر عنه من تقوى وصلاح [٨٣] .

وورود هذه الصيغة هنا يدل على صلاح المتلقب به وافتقاره لله ولذا اتبع اللقب بكلمات "المحب للقايه وقربه" . واسم صاحب الشاهد ينتسب "لعكا" حسب النسبة لموطنه (العكى) كما جرت الدراسات السابقة والتى تنسب الأشخاص المنقوشة أسماؤهم على هذه الشواهد للقبيلة أو المهنة أو الموطن [٨٤] ،

والمرجح أن "قبيلة" العكى قد انتقلت لدهلك لورود اسمها على عدد من الشواهد من دهلك ومنها شاهد للجبلى العكى مؤرخ ٥١٤هـ [٨٥] وعلى أحد الشواهد

٨١ .حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ص ١٣٧ ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م .
٨٢ .القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٢٢ .
٨٣ .حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
٨٤ .محمد حمزة الحداد : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
85 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 372.

من دهلك مؤرخ ٦٠٦هـ (١٢١٠م) اسم الفقيه [٨٦] مسلم بن عيسى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد بن يحيى العكى [٨٧]

وهو ابن صاحب الشاهد الأول – بالبحث – كما جاء اسم ابنته على شاهد غير محدد التاريخ "..... وستماية" بصيغة "الأجلة فاطمة ابنة عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد بن يحيى العكى . [٨٨]

ومما يدل على عظم شأن هذه العائلة وجود شاهد لمولاة أحد أبناء "عيسى" وهو محمد على شاهد مؤرخ ٦٢٥هـ (١٢٢٨م) باسم "أم حزبه حُسْن مولاة محمد بن عيسى بن أحمد بن حمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد بن يحيى العكى . [٨٩]

أما اسم ولقب ونسب صاحب الشاهد الثانى فقد جاءت فى سطرين من الشاهد وهما الخامس والسادس للنص بصيغة "هذا قبر الشيخ مكى بن جامع بن سالم السواكنى" (شكل ٣ ، ٤)

والشيخ : من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله فى اللغة الطاعن فى السن ولقب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقر الشيخ الكبير. [٩٠]

وفى حالة العلماء أطلق من قبل على الإمام الزاهد أبى زكريا يحيى فى نص جنائزى مؤرخ ٢٣٠هـ [٩١] .

---

٨٦ . من ألقاب العلماء ، وهو اسم فاعل من فقه إذا صار الفقه له سجية . ويقع على المجتهد دون المقلد أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز ... عن القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص ٢٢ .

87 . Schneider, (M.) Op. Cit; Part 1, P. 402.

88 . Ibid, p. 423.

والأجلة : الأجل من ألقاب السلطان ويكون من ألقاب السامى بغير ياء فما دونه وكان هذا اللقب فى الدولة الفاطمية أعلى الألقاب وأرفعها قدراً ، والأجلى نسبى إليه للمبالغة .. القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٦، ص٦.

89 . Oman, (G.), op. Cit., p. 40.

٩٠. القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص١٧ .

٩١ .حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

أما نسبة هذا الشيخ فهى "السواكنى" إلى "سواكن" وهو ميناء سودانى على ساحل البحر الأحمر جنوب بورسودان فى شمال شرق السودان بين دائرتى عرض ١٩°، ٢٠° [٩٢].

وكان إنشاء هذا الميناء وازدهاره مرتبط إلى حد ما بهيمنة المسلمين على معادن الذهب والزمرد فى الصحراء الشرقية واشتغالهم بنقل البضائع والحجاج بين تلك الموانئ وصعيد مصر [٩٣]

وقلت أهمية سواكن ولم تعد تستخدم إلا فى موسم الحج وباستطاعتها تموين السفن بحاجتها من الأطعمة والمياه التى ترد إليها . [٩٤]

ويدل هذا النص مع غيره من نصوص الشواهد بدهلك على أن مجتمع دهلك كان يقوم فى الأساس على القبائل العربية المهاجرة إليها حيث جذبت هذه الجزر أنظارهم فاسقروا فيها لتنوع نشاطها الاقتصادى وقيامها كثغر إسلامى .

وبرغم الدراسات الحديثة فى هذا الشأن إلا أن الفضل يرجع لوجود كتالوج شواهد القبور المحفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة الذى أعطى تسلسلاً نسبياً جديداً لسلاطين جزر دهلك يتخذ شكلاً أكثر دقة من التسلسل الذى أعطاه من تناولوا هذا الموضوع من قبل [٩٥].

---

٩٢ . محمود عصام الميدانى : المرجع السابق ، ص٧٢ .

٩٣ . محمد حمزة الحداد : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

٩٤ . جودة حسنين جودة : العالم العربى دراسة فى الجغرافيا الإقليمية ، ص ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٦م .

95 . Schneider (M.), op. Cit., Part 1, p. 19.

(ج): تحديد التاريخ :

كتب التاريخ بالحروف على الشاهدين على عادة كتابة التواريخ على شواهد القبور الإسلامية الأولى بالحروف دون الأرقام ، وذلك حتى العصر المملوكى حيث بدأ التاريخ بالأرقام على الآثار وخاصة على قطع المسكوكات [٩٦] ،

وقد جاء تاريخ الشاهد الأول فى السطر العاشر من كتاباته – بحروف أصغر من باقى حروف النص وهو "توفى ليلة الجمعة تاسع وعشرين صفر سنة أربع وثمانين وخمسماية" (شكل ٢) (٢٩ إبريل ١١٨٨) وهو تحديد دقيق باليوم والشهر والعام .

أما تاريخ الشاهد الثانى فقد جاء فى الأسطر "السابع والثامن والتاسع" من نص كتاباته وصيغته توفى يوم الإثنين أول يوم من شهر رجب سنة سبع وستماية سنة للهجرة النبوية " (شكل ٤)

وقد أخطأ الكاتب أو نسى فى تكرار كلمة سنة قبل تحديد العام وبعده ويقابل هذا التاريخ (١٩ ديسمبر ١٢١٠م) .

(د): أبيات الشعر :

وهى التى انفرد بها الشاهد الأول دون الثانى ، وهى أربعة أبيات من الشعر يرجح أنها من وضع الأديب صاحب الشاهد حيث إنها تأخذ صيغة النصح أحياناً والأمر فى أحيان أخرى بضمير المتكلم (شكل ٢) ، البيت الأول يحمل معانى النصح

٩٦ . رأفت النبراوى : النقود الإسلامية فى مصر – عصر دولة المماليك الجراكسة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م .

لزوجته أو بنى جلدته ونصه "ادزحى [٩٧] تنصتى واسمعى ثم عى وعى" والبيت الثانى يحذرها الموت ورقدة القبر قائلاً "أنا رهن بمضجعى فاحذرى مثل مصرعى " فى حين ينصح فى البيت الثالث بالتزود من التقوى اتباعاً للأمر القرآنى

﴿...وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٩٨]

ناصحاً "ليس زاد سوى التقى فخذى منه أو دعى" وفى البيت الأخير قوله "عشت تسعين حجة ثم وافيت مضجعى" والحجة تعنى السنة أو العام ، وقد جاء اللفظ فى القرآن العظيم بهذا المعنى فى ..

قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٩٩]

فإن صح ما قيل أنه عاش تسعين عاماً فإنه يكون قد ولد عام ٤٩٤هـ (١٠٩٨م).

---

٩٧. يحتمل أن يكون "أدزحى" اسم لزوجته وإلا فتكون الكلمة من مقطعين الأد . الأمر الفظيع الداهية ، الأد الداهية وأدّه الأمر إذا دهاه والأدّ الشدة ، وحىّ : هو من أبو حى من اليمن أبو قبيلة يمنية من أدد بن زيد بن كهلان من سبأ حمير ...
ابن منظور ، لسان العرب ، مج١ ، ص ٤٣ ، ٧٠ ، دار المعارف .
٩٨. سورة البقرة : آية ١٩٧ .
٩٩. سورة القصص : آية ٢٧ .

خاتمة المبحث الرابع

تبين بالدراسة الأثرية للشاهدين – محل البحث – مع مقارنتهما فى الشكل وموضوع الكتابات عليهما أن هناك نتائج على قدر من الأهمية وبعضها هو :

- برغم عمل كثير من الدراسات السابقة عن شواهد جزر دهلك – بالحبشة والتى تحتفظ بها المتاحف العالمية وبخاصة فى اريتريا وإيطاليا – إلا أن أحداً لم يتطرق من الباحثين العرب أو الأجانب لدراسة هذين الشاهدين بالمتحف البريطانى فى لندن مما يدل على أنهما إضافة للبحث الأثرى الخاص بهذه المنطقة .
- تم نشر شاهدين ونصيهما لأول مرة مع الدراسة من حيث شكل الخط ومقارنته مع المعاصر له فى الشرق الإسلامى بخاصة مصر والتى يرجح أن تأثيرها هى ودول الجزيرة العربية خاصة اليمن كان واضحاً على جزر دهلك.
- بدراسة الخط الثلث الوارد على الشاهدين مع بروزه وتميز حروفه عن شواهد الفترة المعاصرة فى كل من الحجاز واليمن واللتين كانتا تابعتين للسلطنة الأيوبية اتضح أهمية وجود هذا الخط بشواهد هذه الجزر فى فترة مبكرة تواكب تطور هذا النوع من الخط فى مصر والجزيرة العربية .
- الأسلوب الصناعى للشاهدين أظهر تميزاً فى المادة الخام حيث اتخذت من البازلت فى حين شاع فى مصر والشام اتخاذ شواهد من مواد أخرى كالحجر الجيرى والرخام والحجر الرملى منذ العصر الأيوبى .

- طرق حفر الكتابات البارزة والزخارف على الشاهدين تثبت تطور هذا الأسلوب الفنى والصناعى مع دقة التفاصيل واستيعاب الصانع للوسائل والطرق الصناعية الموصلة لتميز الشاهدين عن شواهد دهلك الأخرى .
- اتفقت الزخارف فى الشاهدين مع بعض الشواهد من مصر والجزيرة العربية واختلفت فى البعض الآخر وبخاصة الشاهد الأول (الأديب عيسى) الذى حظى شاهده باهتمام بالغ فى الجمع بين عدة أنواع من الزخارف النباتية والهندسية .
- أظهر البحث انتشار الفن الإسلامى – ممثلاً فى الشاهدين – بجزر دهلك فى فترة مبكرة من العصر الأيوبى واستمرار العلاقات المتميزة بين هذه الجزر وبلاد الجزيرة العربية ومصر ونقل الصناع والفنانين لأساليب فنية متبعة فى هذه المناطق مع تطويرها وصياغتها بأسلوب رائع .
- أوضح البحث فى مضمون الشاهدين إضافات جديدة لما كان متبعاً على الشواهد قبل العصر الأيوبى من البسملة ، الصلاة على النبى ، اسم الصانع ، مكان الصناعة والدعاء لصاحب الشاهد فأبان فى بيوت الشعر الأدبية معانى ومضامين لا نكاد نرى مثيلاً لها فى شواهد المشرق الإسلامى المعاصر. كما جمع بين اسم ونسب وألقاب المتوفى وبين موطنه الذى هاجر منه إلى جزر دهلك .

- انفرد كل شاهد – دون الآخر – بأمور منها ، ذكر الآيات القرآنية المحددة والمرتبطة بما يريده الصانع من معانى ، وأسماء وألقاب ووظائف إضافة للتاريخ ، بالإضافة لاتفاقهما فى بعض أمور أخرى .
- أبان البحث ارتباط الهجرة لجزر دهلك بالحالة الاقتصادية والتركيبة الاجتماعية للسكان بهذه الجزر حيث إن الشاهد الأول نسبه "العكى" إلى عكا بالشام مكاناً وموطناً وكثرة المنتمين لنفس القبيلة بدهلك ، وكذلك الثانى السواكنى نسبة إلى ميناء "سواكن" السودانى .
- اتضح من البحث أهمية إبراز الشاهدين للشخصيتين المهمتين اللتين كان كل منهما لساناً صادقاً وعيناً ساهرة على دعوة الإسلام فى هذه الجزر ولما للقب الأول (الأديب الفاضل) من فضل فى هذا الأمر هو وأبناء عائلته ، وما للقب الثانى (الشيخ) من فضل فى نشر تعاليم الإسلام بالحبشة عامة وبجزر دهلك التابعة لها خاصة مما يرجح معه وضوح دوافع الهجرة إليها .
- وضح البحث اسم ونسب ووطن الصانع وهو ما لا نجده كثيراً على الشواهد المصرية المعاصرة للفترة الأيوبية حيث إن الصانع يفضل نقل الأساليب الصناعية فى الشواهد من موطنه ويضيف إليها ما وجده وطوره فى الجزر التى هاجر إليها واستوطنها هو وعائلته .
- بعد مقارنة الشاهدين بما نشر عن جزر دهلك من قبل فى شواهدها وضح قيام عائلة بكاملها بصناعة الشواهد لقبور دهلك مما يدل على توريث هذه

الصنعة فى الجزر وهذا من الأمور القليلة الوجود فى المشرق الإسلامى حتى ذلك العصر.

- أضاف البحث باللغة العربية – لما كتب من قبل – إضافات مهمة وبخاصة أن ما كتب عن هذه الجزر وشواهدها من قبل لا يتعدى أصابع اليد الواحدة وبهذا أرجو أن يكون البحث قد أضاف جديداً فى مجال الآثار الإسلامية بما توصل إليه من نتائج مع الاستعانة بأحد عشر شكلاً وأربعة لوحات.